اللّجنة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ
بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة

صُوَرُ الكنيسة
في التّقليدَيْن الآبائيَّيْن السّريانيّ واللّاتينيّ

وثيقة للبحث

حاضرة الفاتيكان، ١٩ تشرين الثّاني ٢٠٢٢

صُوَرُ الكنيسة في التّقليدَيْن الآبائيَّيْن السّريانيّ واللّاتينيّ

أوّلًا: توطئة

١– انعكست الحوارات اللّاهوتيّة العديدة حول الكنيسة على صفاتها وسماتها («واحدة، مقدّسة، جامعة، رسوليّة»)، وعلى مؤسّساتها أو أسرارها، بهدف التّعبير عن لاهوت كنسيّ مشترك. إذ ما من حوار من هذه الحوارات تقريبًا بَنى تفكيره على صُوَر الكنيسة، الّتي تُشكّل تُراثًا مشتركًا لجميع المسيحيّين.

٢– يُشار إلى الكنيسة في العهد الجديد بِصُوَر وأشكال مختلفة سَبَق أن رُسِمت في كُتب الأنبياء. تُستَوحى هذه الصّوَر في أغلب الأحيان من الحياة البيولوجيّة والاجتماعيّة والعيليّة، ومن الحياة الرّاعويّة والرّيفيّة أو من استعارات عَمَل البناء، مثل الجسد والشّعب والأمّ والزّوجة والحظيرة والقطيع وحقل الله وشجرة الزّيتون وشجرة التّين والكرمة وبيت الله أو الهيكل[١]. وقد استوحى آباء الكنيسة والتّقاليد اللّيترجيّة المختلفة من الكتاب المقدّس، لتكملة هذه الصّوَر الكلاسيكيّة وتطويرها، وتقديم العديد من الأنماط والرّموز الأخرى، مثل القمر وأورشليم السّماويّة وسفينة نوح والثّوب غير المخيّط وبيت القربان (المظلّة) والمأدبة وخِدْر العروس والمستشفى الرّوحيّ والمركب والجنّة، وغيرها.

[١] راجِعْ: «الكنيسة»، رقم ٦.

٣– تقترح هذه الوثيقة الصّادرة عن اللّجنة الدّوليّة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة، تقديم بعض صُوَر الكنيسة ورموزها الّتي أثارها الكتاب المقدّس وطوّرها الآباء اللّاتين والأشوريّون في القرون الأولى، وقد أهملنا عمدًا آباء التّقليد اليونانيّ أو التّقاليد المسيحيّة الأخرى، لأغراض تمتّ بهذا الحوار. إنّ هدف هذه الوثيقة هو أن نُبيّن أنّ صُوَر الكنيسة، السّائدة في التّقليدَيْن اللّاتينيّ والأشوريّ، على الرّغم من التّعبير عنها أحيانًا وفهمها بدرجات مختلفة، يُمكن أن تُساعدنا على إيجاد أسُسٍ لاهوتٍ كنسيّ مشترك.

٤– ومع ذلك، هذه الصّوَر كلّها ليست بالأهميّة ذاتها. لذا، هناك ثلاثٌ منها تضعنا في اتّصال مباشر بسرّ الكنيسة في بُعدها الثّالوثيّ: سرّ شعب الله وجسد المسيح وهيكل الرّوح القدس. سنُناقش هنا صُوَرًا مهمّة أخرى تستَمِدُّ معناها بطريقة أو بأخرى من هذه المواضيع الرّئيسيّة: عروس المسيح، الأمّ، الكرمة، مكان الشّفاء، القطيع والسّفينة.

ثانيًا: شعب الله

٥– أُخِذَت صورة شَعْبِ الله من العهد القديم. فقد اختار الله شَعْب إسرائيل ليكون شعبه (بالعبريّة والسّريانيّة *ama*، وباليونانيّة λαός، وباللّاتينيّة *populus*)، إذ قَطَع معه عهدًا وعلّمه تدريجيًّا. إذا كان الشّعب الإسرائيليّ موجودًا كشعب، فذلك لأنّ الله اختاره (تث ٤، ٢٠؛ ٧: ٦–٨)، ودعاه (أش ١٢، ٤٨)، لا بسبب قوّته أو مزاياه (تث ٨، ١٧؛ ٩، ٤) ولكن بسبب الحبّ: «لأنّك شعبٌ مقدّس للرَّبّ،

وإيّاك اختار الرَّبُّ إلهُك لتكون له شعبَ خاصّته بين جميع الشّعوب الّتي على وجه الأرض. لا لأنّكُم أكثرُ من جميع الشّعوب تَعَلّقَ الرَّبّ بِحُبّكم واختاركم، فأنتُم أقلُّ من جميع الشّعوب، بل لمحبّة الرّبِ لكُم ومُحافظَتِه على القَسَم الّذي أقسمَ به لآبائكم أخرجَكُم الرّبُّ بيدٍ قويّة وفداكم من دار العبوديّة، من دار فرعونَ، مَلِكِ مِصْر» (تث ٧: ٦-٨). هذا الاختيار سيُختَم في العهد، الّذي هو الفعل التّأسيسيّ للشّعب المختار، وهو ميثاق مختوم بدم ذبيحةٍ، تَتَعهّد به الأسباط الاثنَيْ عشر لتنفيذ النّاموس (خر ٢٤: ٤-٨). وهكذا، فإنّ الله هو إله إسرائيل، وإسرائيل هو شعب الله (تث ٢٩، ١٢؛ لاو ٢٦، ١٢؛ إر ٧، ٢٣؛ حز ١١، ٢٠...): شعبٌ مقدّس، مُكرّسٌ للرَّبّ، وشاهدٌ على الله والواحد (أش ٤٤، ٨). ومع ذلك، إذا كان الشّعب الإسرائيليّ ينعم بمثل هذه الامتيازات، فهي ليست من أجله وحده، لأنّ جميع الأمم مدعوّون أيضًا (أش ٢، ٢؛ مز ٤٦، ١٠) لتمجيد الله (أش ٤٥، ٢٣) والمشاركة معه في بركات إبراهيم (تك ١٢، ٣؛ إر ٤، ٢؛ سيراخ ٤٤، ٢١). هذا كلّه أَعَدّ وأنبأ بالعهد الجديد الّذي أُبرِم مع المسيح مع شعب مؤلَّف من يهود وأُمَم، دعوا إلى أن يكونوا معًا في الوحدة، لا في الجسد، بل في الرّوح، كما أعلن النّبيّ إرميا: «وأكونُ لَهُم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا» (إر ٣٠، ٣٣). ويُشكِّل شَعْبُ الله الجديد «ذرّيّة مُختارة وجماعة المَلِك الكهنوتيّة وأُمّة مُقدّسة وشعبًا اقتناه الله... لم تكونوا بالأمس شَعْبَ الله، وأمّا الآن فإنّكُم شَعبُه» (١ بط ٢: ٩-١٠). فالمرء لا يُصبح عُضوًا بالولادة الجسديّة، بل بالولادة من فوق، بالماء والرّوح (يو ٣: ٣-٥)، أي بالإيمان بالمسيح وبالمعموديّة.

٦- أوضح الآباء اللّاتين في القرون الأولى مسألة الكنيسة كشعب الله على نطاق واسع. يعطيها كبريانوس بُعْدًا ثالوثيًّا، واصفًا الكنيسة بأنّها «شعبٌ يستمدّ وحدته

من وحدة الآب والابن والرّوح القدس»[٢]. ويؤكّد أمبروسيوس أنّ الانتماء إلى هذا الشّعب يتحقّق في المعموديّة: «هذا الشّعب الّذي جُمِعَ من الغرباء والّذي قَبِلَ أن يغطس في النّهر الصّوفيّ كان مُصابًا بالبرص والدّنس، قد غُسِلَ بالمعموديّة من عُيوب الجسد والعقل»[٣]. ويُشير أوغسطينوس إلى الاستمراريّة بين إسرائيل والكنيسة: لقد بارك الله، إن جاز التّعبير، شجرة، جعل منها شجرة زيتون، كما يقول الرّسول، عنينا بها جِذعَ البطاركة القدّيسين الّذي أزهَرَ عليه شعب الله»[٤]، مطوّرًا تعليم رسالة القدّيس بطرس الأولى (١بط ٢: ٩-١٠)، وسيُفضي فَهْم شعب الله في التّقليد اللّاتينيّ إلى أن يُنسب البعدُ الثّالوثيّ الكاهن-النّبيّ-الملك إلى هذا الشّعب ككلّ، وليس إلى أفراده فحسب، للتعبير عن مختلف جوانب النّعمة المسيحيّة. وهكذا يتحدّث البابا لاون العظيم عن «شعب تبنّاه الله، شعب كهنوتيّ ومَلَكيّ برُمّته»[٥].

٧- أوضحَ التّقليد السّريانيّ أيضًا تعبير شعب الله للإشارة إلى الكنيسة، «شعب الله الجديد» كما صوّرها العهد القديم مع إسرائيل. كما يتداخل مساران للتّفسير: مسار الاستبدال، الّذي يُقدِّم الكنيسة على أنّها تَجمُّع الأمم [الوثنيّون] بَدَلًا من الكنيس اليهوديّ، ومسار الاستمرار، الّذي يَفْهمُ الكنيسة على أنّها مُكوَّنة من عُنصرَيْن: الشّعب اليهوديّ (الأمّة) والأمم [الوثنيّون]. يجمع المسيح الأمم جمعاء تحت الشّمس

---

[٢] أُنْظُرْ:

Cyprian, *De Orat. Dom.* 23: PL 4, 553.

[٣] أُنْظُرْ:

Ambrose, *On Luke IV*, 50, PL 15, 1627.

[٤] أُنْظُرْ:

Augustine, *Exposition of the Psalms,* Ps. 134, n. 7.

[٥] أُنْظُرْ:

Leo the Great, *Homily III*, PL 54, 145b.

ويقودها إلى الله ويُشكّل شعبًا واحدًا، أي الكنيسة، كما تَصوّرها يعقوب السّروجيّ: «لقد أصبحت الأمم شعبًا عظيمًا واحدًا يُنشد المجد، وتجمُّعًا عظيمًا، وسَيْلًا لا حدّ له»[٦]. وعرض أفرام فكرة الكنيسة نفسها في شرحه سِفْر التّكوين: «تتبارك جميع أُمَم الأرض في نسلك (الّذي هو المسيح)»[٧]. كان أفراهات[٨] وأفرام فخورَيْن بكرامة كنيسة ملكيصادق الوثنيّ. وقد علّق أفرام بشكل خاصّ على تفوُّق كهنوت المسيح، الشّبيه بكهنوت ملكيصادق، على كهنوت اللّاويّين، حيث يُنظر إلى الكنيسة – جماعة الأمم – على أنّها شعب الله الجديد: «كان ملكيصادق أشرفَ من رؤساء كهنة الأمّة: وبين الأمم كان يترأّس ويُعلّم أنّ رئيس الكهنة الّذي سيأتي إلى الأمم ستُضحّي به الأمّة»[٩].

٨– أضحت صورةُ شعْبِ الله، وهي تشبيه سائد بين الآباء الأوائل حتّى القرنَيْن الرّابع والخامس، نادرة حتّى القرن العشرين، إذ أُعيدَ إحياؤها في لاهوت الكنيسة. وقد سمح لاهوت شعْبِ الله بتوضيح القصْد الإلهيّ للخلاص: أراد الله أن يُخلّص البشريّة ويُقدّسها، ليس بطريقة فرديّة، بل كجماعة. وعلاوةً على ذلك، من خلال استحضار مسيرة الشّعب الإسرائيليّ في الصّحراء وتاريخ الخلاص، تُشير الصّورة إلى

---

٦ أُنْظُرْ:

Jacob of Sarug, *Homily 164 on the Torrent which the Prophet Ezekiel saw,* HSJS V, p. 440, lns. 14-15.

٧ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Commentary on Genesis,* XX, 3: CSCO 152, Syr. 71, p. 84.

٨ أُنْظُرْ:

Aphrahat, *Dem.* XI, 3: PS I, p. 476, lns. 20-3.

٩ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Virginity,* VIII, 20: CSCO 223, Syr. 94, p. 31.

البُعد التّاريخيّ والأخرويّ للكنيسة وإلى بُعدها السّينودسيّ كـ«طريق مشترك» (*syn/odos*). وتُظهر الصّورة في آخر المطاف استمرار الوحي والإيمان منذ إبراهيم. إنّ شعب الله الجديد لا يَحِلُّ مكان شعْبِ إسرائيل القديم الّذي «تطعّم فيه» (راجِعْ: رو ١١، ٢٤)، بل يَشْهد على تحقيق الوعود الّتي قطعها الله مع الشّعب الإسرائيليّ القديم في المسيح اليوم. فقد دُعيَت جميع الأمم إلى أن تكون جُزءًا من هذا الشّعب، إذ نُظِّمَت بطريقة أو بأخرى، ذلك أنّ الصّورة مُثمِرة بشكل خاصّ من وجهة نَظَرٍ مسكونيّة ودينيّة.

ثالثًا: جسد المسيح

٩– تَرِدُ صورة الكنيسة كجسدٍ من العهد الجديد، وبشكلٍ أدقّ مع القدّيس بولس. ففي الرّسالتَيْن إلى قورنتس وإلى أهل روما، يُقَدِّم بولس المسيحيّين كأعضاء مُوَحَّدين في جسدٍ واحدٍ، جسدِ المسيح (*σῶμα Χριστοῦ*). فَهُمْ حقًّا، في هذا الجسد، في شركَةٍ بعضهم مع بعض من خلال الإفخارستيّا: «لما كان هناك خُبْزٌ واحد، فنحن على كَثْرَتِنا جَسَدٌ واحِدٌ، لأنّنا نَشترِكُ كُلُّنا في هذا الخُبز الواحد» (١ قور ١٠، ١٧). في هذا الجسد، تكون الأعضاء مُتمايزة ولكنّها مُتكامِلة: فهي تتلَقّى مواهِب مُختَلِفة من الرّوح القدس من أجل خير الجسد كُلِّه: «فكما أنّ الجسد واحِدٌ وله أَعضاءٌ كثيرة وأَنّ أعضاءَ الجسد كُلَّها على كَثْرَتِها لَيسَت إلّا جَسدًا واحِدًا، فكذلكَ المسيح» (١ قور ١٢، ١٢). عَرَفَ هذا التّعليم الأوّل تطوُّرًا في رسائل السّبي، الّتي توضِحُ دَوْرَ المسيح كرأسٍ لهذا الجَسَد. فكما يُمارِسُ المسيح أسبقيّته في كلّ شيء، إذ «هو

رأسُ الجَسَد، أي رأسُ الكنيسة» (قولسّي ١، ١٨)، كذلك يملأها بخيرات الحياة الإلهيّة الّتي يمتلكُها هو نفسه بكمالها (قولسي ٢: ٩-١٠). وفي الرّسالة إلى أهل أفسُس، تَجِدُ فكرة الجسد تطوّرها الأعمَق، إذ يُوحِّدُ اليهود والوثنيّين في «إنسان واحد»، ويُصلِح المسيح بينهما «فيجعلهما جسدًا واحِدًا» (أفس ٢: ١٥-١٦). وهو «الرّأس»، «فإنّ به إحكامَ الجسد كلّه والتحامه، والفضل لجميع الأوصال الّتي تقوم بحاجته، لِيُتابِع نُمُوَّه بالعمل المُلائم لكلٍّ من الأجزاء ويبني نفسه بالمحبّة» (أفسُس ٤: ١٢-١٦).

١٠- سيطوّر الآباء السّريان مواضيع بولس هذه. ويُذكّر أفرام بالصّلة بين جسد (*paghra*) المسيح والكنيسة في تفسيره الفصل العاشر للرّسالة الأولى إلى قورنتوس: «فكما نُشكّل جسدًا واحدًا، بالجسد الواحد الّذي نتناوله، كذلك أنتم أيضًا بالغذاء الّذي تأكلوه، أي الإفخارستيّا، تُصبحون جسدًا واحدًا»[١٠]. وفي الرّوح القدس، يُشكّل المسيح النّاهض من بين الأموات جماعة المؤمنين كجسده، كما يُشير إلى ذلك أفرام مرّة أخرى في تفسير الرّسالة إلى الأفسسيّين: «إنّ مواهب الرّوح هي مثل الأعضاء الّذين يُساعدون جسد الكنيسة على النّموّ»[١١]. وكما يختصر أفرام في صيغة لافتة للنّظر: «لقد مات من أجل عالمنا في الجسد، لكي نعيش من أجل عالمه في

[١٠] أُنْظُرْ:

Ephrem, Arm. III: *In Paulum*: Arm. in *Srboyn Ep'remi Matenagrut'iwnk'* III, p.69, Lns. 26-9; tr. (Latin): *S. Ephraemi Syri Commentarii in Epistolas D. Pauli... a Patribus Mechitaristis,* p. 67.

[١١] أُنْظُرْ:

Ibid. p. 71, lns. 4-9; tr. p. 69.

جسده»[12]. ويُذكّر ثيودورس المصّيصيّ في تفسيره الرّسالة الأولى إلى أهل قورنتس بأنّنا نُصبح أعضاء في الجسد بواسطة المعموديّة: «لذلك فإنّ جماعة المؤمنين تُدعى أيضًا جسد المسيح، وأنّ كلّ واحد منّا هو عضو في الجسد، وهو رأسنا جميعًا، لأنّنا بقوّة الرّوح نتلقّى، كما كان، ارتباطًا طبيعيًّا، كما يقول الرّسول أيضًا: "فإنّنا اعتمدنا جميعًا في روحٍ واحد لنكون جسدًا واحدًا"»[13].

١١– أوضح الآباء اللّاتين أيضًا، من خلال مقاربتهم الخاصّة، صورة الكنيسة كجسد المسيح، بُغية ترسيخ معنى وحدة الكنيسة للمؤمنين على الصّعيدَين المحلّيّ والعالميّ. فبالنّسبة إلى كبريانوس، إنّ وحدة الجسد الكنسيّ هي في الوقت عينه وحدة مرئيّة وروحيّة. وبما أنّها مضمونة بوحدة الرّأس، فلا يكسرها تنوّع التّقاليد المحلّيّة. وعلى مستوى الأسرار، الإفخارستيّا هي مصدر الوحدة: «فكما تُجمَع الحبوب الكثيرة وتُطحَن وتُعجَن معًا، ويُصنع منها رغيفٌ واحدٌ، هكذا أيضًا في المسيح، خبز السّماء، إذ علينا أن نعرف أنّنا جسدٌ واحد، وأنّ جمهورنا مُجتمع ومُتَّحد»[14]. وقد تركت عقيدة أوغسطينوس عن المسيح الكلّيّ (*Christus totus*)، الرّأس والجسد، قبل كلّ شيء، علامة لا تُمحى في التّقاليد الغربيّة. وفي مواجهة الجدل

[12] أُنْظُرْ:

Ephrem, *CDiat.* XXI, 15: C. McCarthy, *Saint Ephrem's Commentary on Tatian's Diatessaron: An English Translation of Chester Beatty Syriac MS 709 with Introduction and Notes*, JSSS 2, p. 325.

[13] أُنْظُرْ:

Theodore of Mopsuestia, *Commentary on the Gospel of John*, in *Commentary on the Gospel of John,* trans., Marco Conti, ed., Joel E. Elowsky, ACT, p. 137.

[14] أُنْظُرْ:

Cyprian, *Ep.* XLIII, PL 4, 383.

الدّوناتيّ، أجاب أوغسطينوس مؤكّدًا وحدة جسد المسيح: «ربّنا يسوع المسيح، كإنسان تامّ وكامل هو رأس وجسد، جسده هو الكنيسة، لا الكنيسة الّتي هنا فحسب، بل الّتي هنا والّتي في أصقاع الأرض»[١٥]. وفي فترة لاحقة، هَتَفَ لاون الكبير: «اعتَرِفْ يا مسيحيّ بكرامتك، بما أنّك الآن شريك في الطّبيعة الإلهيّة... تذكّر إلى أيّ رأس تنتمي، وفي أيّ جسم أنت عُضو»[١٦].

١٢– إنّ صورة شعب الله، الّتي نجدها في العهد القديم، تُقدّم الكنيسة على أنّها استمرارٌ لشعب إسرائيل، في حين أنّ صورة جسد المسيح الّتي تشير إلى الكنيسة تَنجُم عن العهد الجديد. وتُعبّر هذه الصّورة، أفضل من أيّ شيء آخر، عن الطّابع الحيويّ والواقعيّ للرّوابط الّتي تُوحِّد أعضاء الجسد السّرّيّ بعضهم مع بعض – روابط القرب والتّكامل والتّضامن في الخدمة المتبادلة – ومع المسيح، الرّأس، الّذي يبُثّ حياته الإلهيّة والبنويّة. تنبع رؤية الكنيسة الأكثر عضويّة وموهبة من هذا المفهوم. وعلاوةً على ذلك، إنّ فكرة الشّركة، الّتي تشترك فيها التّقاليد اللّاتينيّة والسّريانيّة، في اللّاهوت الكنسيّ، في النّصف الثّاني من القرن العشرين، تندرج في مسارِ لاهوتِ جسدِ المسيح.

---

١٥ أُنْظُرْ:

Augustine, Exposition 2 of Psalm 90, PL 37, 1159.

١٦ أُنْظُرْ:

Leo the Great, *Ep.* XLIII, PL 4, 383.

رابعًا: هيكل الرّوح القدس

١٣- يتحدّث داود إلى ناتان عن توقه إلى بناء «بيت» لتابوت الله (٢ صم ٧: ١-٣)، وهو مشروع لن يتحقّق إلّا في عهد سليمان ببناء الهيكل حيث تابوت العهد سيكون قدس الأقداس (١ ملو ٨: ١-٩). ومع ذلك، أعلن الأنبياء عن مجيء هيكل جديد ونهائيّ في رؤية مسيحانيّة وعالميّة: «لأنّ بيتي بيت صلاة يُدعى لجميع الشّعوب» (أش ٥٦، ٧). يُعلن العهد الجديد تحقيق هذا الوعد في الهيكل الجديد. يتحدّث المسيح عن جسده على أنّه هيكل (يو ٢، ٢١؛ راجِعْ: عب ٩، ١١)، مقارنًا نفسه بالحجر الّذي رذله البنّاؤون وأصبح حجر الزّاوية (متّى ٢١، ٤٢؛ راجِعْ: أع ٤، ١١؛ ١ بط ٢، ٧؛ مز ١١٧، ٢٢). ويُعلن القدّيس بولس من جهته أنّ المؤمنين هم «هيكل الرّوح القدس» (١ قو ٦، ١٩): «أما تعلمون أنّكم هيكَلُ روح الله، وأنّ روح الله حالٌّ فيكم؟ من هَدَمَ هيكل الله هَدَمَهُ الله، لأنّ هيكل الله مُقدّس، وهذا الهيكل هو أنتُم» (١ قو ٣: ١٦-١٧). وفي الجماعة أيضًا، يعيش الرّوح كما في هيكل، و«حجر الزّاوية هو المسيح الّذي يقوم على الرّسل والأنبياء: بُنيتُم على أساس الرّسل والأنبياء، وحجر الزّاوية هو المسيح نفسُه. فيه يُحكَم البناءُ كلّه ويَرتفع ليكون هيكلًا مُقدّسًا في الرَّبّ، وبه أنتُم أيضًا تُبنَونَ معًا لتَصيروا مَسكنًا لله في الرّوح» (أفس ٢: ١٩-٢٢). وتوصَف هذه البنية بمصطلحات مختلفة: «بناء الله» (١ قو ٣، ٩)، و«بيت الله» الّذي هو «كنيسة الله الحيّ، وعمود الحقيقة ودعامتها» (١ تيمو ٣، ١٥)، و«مسكن الله في الرّوح» (أفس ٢: ١٩-٢٢)، و«بيت الله بين البشر» (رؤ ٢١، ٣)، و«هيكل الله الحيّ» (٢ قو ٦، ١٦؛ راجِعْ: ١ قو ٣: ١٦-١٧؛ أفس ٢، ٢١)، و«نحن الحجارة الحيّة» (١ بط ٢، ٥)،

«والمدينة المقدّسة، أورشليم الجديدة»، الّتي رآها يوحنّا في رؤيا نازلة من السّماء من عند الله في الوقت الّذي سيتَجدّد فيه العالم (رؤ ٢١، ١...).

١٤– يستخدم الآباء السّريان في أغلب الأحيان صُوَرًا مرتبطة بالبناء لوَصْف الكنيسة: هيكل سليمان، سفينة نوح، وبخاصّة «البيت المبنيّ على الصّخر» في مثل متّى ٧، ٢٥. يتوسّع أفراهات في موضوع الهيكل فيما يتعلّق بالكنيسة[١٧]. وبالنّسبة إلى أفرام، إنّ برج بابل هو النّموذج المعاكس للكنيسة الّتي تقود إلى السّماء[١٨]، والّذي يُشار إليها أيضًا بتابوت العهد[١٩]، وبيت الملجأ[٢٠]. ويَستخدم يعقوب السّرّوجيّ صورة البيت الّذي بناه ملكيصادق على الجلجلة[٢١]، والهيكل الّذي شيّده إبراهيم وإسحق[٢٢] الّذي أصبح فيما بعد المكان نفسه لذبيحة يعقوب، المرتبط بالجلجلة[٢٣].

---

١٧ أُنْظُرْ:

Aphrahat, *Dem.* XIV, 38: PS I, p. 680, lns. 1-2; *Dem.* IV, 10-11: PS I, p. 157, ln. 20 - p. 161, ln. 23; *Dem.* VI, 1: PS I, p. 252, lns. 9-13.

١٨ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on the Nativity,* I, 44: CSCO 186, Syr. 82, p. 6.

١٩ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Commentary on Exodus,* XXV-XXXI: CSCO 152, Syr. 71, p. 152.

٢٠ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on the Nativity,* III, 15: CSCO 186, Syr. 82, p. 23.

٢١ أُنْظُرْ:

Jacob of Sarug, *Homily 155 on Melchizedek, Priest of the Highest God and the Types of Our Lord,* HSJS V, p. 160, lns.15-22.

٢٢ أُنْظُرْ:

Jacob of Sarug, *Homily 109 on Abraham and his types,* HSJS IV, p. 90, lns 8-13.

٢٣ أُنْظُرْ:

Jacob of Sarug, *Homily 74 on Jacob's Revelation at Bethel,* HSJS III, p. 201, lns. 13-14.

ويربط أفرام ويعقوب السّرّوجيّ بشكل أوضح الكنيسة بصورة الصّخرة الّتي مسحها يعقوب، ذلك الحجر الّذي وضع عليه يعقوب رأسه في أثناء حلمه، والّذي سَكَب عليه الزّيت عندما استيقظ (راجِعْ: تك ٢٨: ١١–١٨): «أحضِروا الزّيت واسكبوه على الحجر، فهو يرمز إلى الكنيسة، وصوّروه لي، لأنّ هذه الصّورة ستعود بعد فترة»[٢٤]. يرمز الحجر الّذي جلس عليه موسى في أثناء محاربة العمالقة إلى تأسيس الكنيسة الّتي تمتدّ عليها ذراعا موسى والّتي تُذكِّر بالصّليب المنتصر: «ثمّ أقيمت الكنيسة مع الصّليب عليه. فليتبارك فداؤها»[٢٥]. وأخيرًا، كما يؤكّد عيشو داد دي ميرف، أسقف حداثة في آشور: «يقول الله الرّحوم إنّه جَمَعَ الكائنات كلّها كأعضاء منتشرة في جوهر واحد من جسد المسيح، كي يملأ المسيحُ كلَّ نَقْصٍ فيها، وكي تتّحد كأعضاء في الرّأس، وتكتمل فيه بقوّة النّعمة، في كلّ ملء الله، أي كما هي الحال في هيكل نقيّ: وهو يسكن فيها باستمرار»[٢٦].

١٥– توسّع الآباء اللّاتين بالطّابع المتمحور حول المسيح من خلال صورة الهيكل، تمامًا كما فعل غريغوريوس الكبير في تفسيره الرّسالة الأولى إلى قورنتوس ٣، ١١: «هو وحده يتحمّل أعباء حياتنا وأخطائنا، هو وحده يحمل بناء الكنيسة

---

٢٤ أُنْظُرْ:

Ibid., p. 203, lns. 11-12.

٢٥ أُنْظُرْ:

Jacob of Sarug, *Homily 158 on Moses' extended hands during the battle,* HSJS V, p. 306, ln. 5.

٢٦ أُنْظُرْ:

sho'dad of Merv, *S. Paul's Epistles* in M.D. Gibson, ed., *The Commentaries of Isho'dad of Merv: Bishop of Hadatha (c. 850 A.D.) in Syriac and English,* Vol. V, Part I (Syr), p. 118: Vol. V, Part II (Eng), p. 79.

المقدّسة»[٢٧]. ومع ذلك، يرى الآباء في هذا الهيكل، في خطى القدّيس بولس، وعلى غرار جميع الآباء الشّرقيّين، مسكن الرّوح القدس، المصدر المباشر لجميع خيرات الكنيسة الرّوحيّة، ووحدتها عبْر الزّمان والمكان، والوظائف المتنوّعة وتكامل أعضائها. ويشرح أوغسطينوس أساس هذا الدّور الخاصّ للشّخص الثّالث في الكنيسة: الرّوح هو صلة الحبّ والشّركة بين الشّخصَيْن الأوّلَيْن، وبالتّالي مصدر الحبّ والوحدة في الكنيسة. تسمح هذه الإضاءة بفَهْمِ سبب تمكُّننا من تسمية الكنيسة، على غرار الرّوح القدس، «محبّة» و«حمامة فريدة». في هذا السّياق، إنّ صورةَ الرّوح، نَفْسَ الكنيسة، السّاكن فيها، الّذي يُنظّمها ويُديرها بالطّريقة نفسها الّتي تعيش فيها نفسنا الّتي تُنظّم الجسد وتُديره، قد أثبتت أنّها مثمرة: «ما يُمكن أن تكون روحنا، أي نفسنا، بالنّسبة إلى أعضائنا، هكذا الرّوح القدس بالنّسبة إلى أعضاء المسيح وإلى جسد المسيح، الّذي هو الكنيسة»[٢٨].

١٦– تسمح لنا صورة البناء، الّتي يشترك فيها التّقليدان اللّاتينيّ والسّريانيّ، بِفَهْمٍ أفضل للبعد الرّوحيّ للكنيسة، وهو بُعْدٌ أساسيّ أُعيد اكتشافه في القرن العشرين في اللّاهوت الغربيّ. هذا الجانب يُسلّط الضّوء من جديد عليه، إذ ما إن اكتمل العمل الّذي عَهَدَ به الآب إلى ابنه على الأرض (راجِعْ: يو ١٧، ٤)، أرسل الرّوح القدس في يوم الخمسين لتقديس الكنيسة تقديسًا نهائيًّا، ليمنح المؤمنين بواسطة المسيح،

---

[٢٧] أُنْظُرْ:

Gregory the Great, *Homilies on Ezekiel*, Book II, hom. 1, para. 5 in Gregory the Great, *Homilies on the Book of the Prophet Ezekiel*, p. 265: SC Vol. 360, p. 60.

[٢٨] أُنْظُرْ:

Augustine, *Homily* 267, 4: PL 38, 1231D.

وفي الرّوح القدس، الوصول إلى الآب (راجِعْ: أفس ٢، ١٨). وعلاوةً على ذلك، الكنيسة كالبناء، هي باستمرار في طور البناء والتّجديد، بإرشاد الرّوح القدس.

خامسًا: عروس الكنيسة

١٧- تفترض وحدة المسيح والكنيسة الّتي تُحرّكها صورة جسد المسيح التّمييز بين الاثنَيْن في علاقة شخصيّة. ويُعبَّر عن هذا الجانب بصورة الزّوج والزّوجة. ففي العهد القديم، وُصِفَت علاقة الله بشعب إسرائيل باستخدام صورة الزّوجة، ولا سيّما مع النّبيّ هوشع (١، ٢؛ ٢، ٥) ومع حزقيال (١٦: ٤-٥). وفي العهد الجديد استَخدم يوحنّا المعمدان تشبيه العريس (راجِعْ: يو ٣، ٢٩) ولَمّحَ يسوع أيضًا إلى ذاته على أنّه «زوج» (متّى ٢، ١٩؛ راجِعْ: متّى ٢٢: ١-٤؛ ٢٥: ١-١٣). ويُعرّف القدّيس بولس الكنيسة، وكلّ مؤمن عضو في جسدها، بأنّها عروس مخطوبة للمسيح الرَّبّ لتكون معه في روح واحد (راجِعْ: ١ قو ٦: ١٥-١٦؛ ٢ قو ١١، ١٢). ويستخدم صورة الزّوجة ليشير إلى نقاء الكنيسة: الكنيسة هي العروس غير المُدنَّسة للعريس النّقيّ (راجِعْ: رؤ ١٩، ٧؛ ٢١: ٢-٩؛ ٢٢، ١٧) الّتي أحبّها المسيح وضحّى بنفسه من أجلها كي يُقدّسها (أف ٥، ٢٦)؛ الّذي يتّحِد معها بِعَهْد أزليّ، إذ لا يتوقّف أبدًا عن الاعتناء بها كجسد (راجِعْ: أف ٥، ٢٩).

١٨- توسّع الآباء الغربيّون في وقت مُبكِّر جدًّا بالرّمزيّة الأنوثيّة للكنيسة. فعلى سبيل المثال، يَستخدم إكليمنضس الرّومانيّ نصّ سفر التّكوين ١، ٢٧ ليرمز إلى

اتّحاد المسيح بالكنيسة: «الرّجل هو المسيح والمرأة هي الكنيسة»[٢٩]. ومن المحتمل أيضًا أن تكون بعض صُوَر النّساء المُصلِّيات في الدّياميس الرّومانيّة (تصوير امرأة في وقفة صلاة ترفع يدَيْها إلى السّماء، كما هي الحال في دياميس بريشيلا) صورًا تُمثّل الكنيسة. ويَستحضر أمبروسيوس صورة العروس في إطار المعموديّة ويُطبّقها على الكنيسة ونفس المعتمد الجديد في آن واحد مستندًا إلى نشيد الأناشيد وإلى معموديّة المسيح في الأردن: «بالنّسبة إلى المسيح، حينما يرى كنيسته في ثياب بيضاء — فمن أجلها، يقول النّبيّ زكريّا، ارتدى ثيابًا وسِخة، أو حين رأى الرّوح قد تَطهّرت وغُسِلت بسرّ الولادة الجديدة، قال لها: كم أنتِ جميلة يا صديقتي، كم أنتِ جميلة، عيناكِ جميلتان مثل عينَي الحمامة، هذه الحمامة الّتي أخذ الرّوح القدس شكلها عندما نزل من السّماء»[٣٠]. يُفسّر أوغسطينوس رسالة بولس الرّسول إلى أهل أفسُس، ويُميّز في المسيح الكلّيّ الشّخص الّذي يعمل كرأس (*ex persona capitis*) من الشّخص الّذي يعمل كجسد (*ex persona corporis*)، فكما هو مكتوب: سيكونان اثنَيْن في جسد واحد، إنّ هذا السِرّ لعظيم، عنيْتُ به علاقة المسيح بالكنيسة (أفس ٥: ٣١-٣٢). والرَّبّ نفسه يقول في الإنجيل: «فلا يكونان اثنَيْن بعد ذلك، بل جسدٌ واحد» (متّى ١٩، ٦). فكما رأيتم، في الواقع، هناك شخصان، ومع ذلك فَهُما واحد في الوصال الزّوجيّ. [...] الرّأس يُدعى «العريس» والجسد يُسمّى «العروس»[٣١].

---

[٢٩] أُنْظُرْ:

Clement of Rome, *Second Epistle to the Corinthians*, Quasten I, p. 64.

[٣٠] أُنْظُرْ:

Ambrose, *De sacramentis, LH*, 15th Thursday *of Ordinary Time*.

[٣١] أُنْظُرْ:

Augustine, *En. in Ps.* 74:4: PL 36, 948-949.

١٩– إنّ صورة الكنيسة كعروس المسيح، الّتي تُكمّل عَهْدَ الله مع إسرائيل، هي موضوعٌ عزيز على التّقليد اللّيترجيّ لكنيسة المشرق، إذ غالبًا ما يرتبط بتفسير يوحنّا ١٩، ٣٤ النّموذجيّ (ولادة الكنيسة/العروس وسرّا (*raze*) المعموديّة والإفخارستيّا). يصف الآباء السّريان الكنيسة، عامّة، بأنّها «عروس مُزيَّنة» و«عروس مجيدة»، و«عروس الملك» و«عروس يسوع الكاهن الأكبر» و«الزّوج السّماويّ»[٣٢]. وحين يُطبّق أفرام هذا التّشبيه الصّوَري الزّوجيّ، ينتقل بحرّيَّة إلى الشّخص المسيحيّ: إلى المعموديّة، بحيث تُخطَب كلّ نفس فرديّة للمسيح، وتتجدّد هذه الخطبة في كلّ إفخارستيّا[٣٣]. فقد حدثت خطبة المسيح بالكنيسة في أثناء معموديّته في نهر الأردن: «مباركٌ المسيح الّذي خطبك إلى نفسه في ماء المعموديّة»[٣٤]. هذه الخطبة تُكمّل الخطبة في سيناء بين الله وشعبه، إذ يُهيّئ موسى دور يوحنّا المعمدان، كما توضح ذلك اللّيترجيّا السّريانيّة: «خطبها بواسطة موسى ويوحنّا المعمدان. فكتب ميثاق زواجه في نهر الأردن»[٣٥]. وتجدر الإشارة إلى أنّ أفراهات وأفرام هما من أوائل آباء الكنيسة الشّرقيّة اللّذَيْن أدخلا فكرة أنّ الرّسل القدّيسين، بعد موسى ويوحنّا المعمدان، والأساقفة وخلفائهم، هم إخوة الكنيسة، على حدّ قول أفراهات: «هو

---

٣٢ أُنْظُرْ:

Hudra III, p. 566 (ܬܫܡܫܬܐ).

٣٣ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Faith*, XIV, 1-3: CSCO 154, Syr. 73, pp. 61-62; Ephrem, *Hymns on Virginity,* XXV, 16: CSCO 223, Syr. 94, p. 93.

٣٤ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Resurrection*, III, 1-7: CSCO 248, Syr. 108, pp. 85-86.

٣٥ أُنْظُرْ:

Hudra III, p. 612 (ܬܪܥܐ).

[المسيح] العريس والرّسل هم الإخوة، ونحن العروس، لنُحضّرِ المهر»[٣٦]. لقد تحضّرت خطبة الأردن مسبقًا بخطبة العهد القديم، الّتي كانت تحصل دومًا بالقرب من بئر. يُعدّد أفرام في تفسيره **الدياتسّارون** قائلًا: خطبة رفقة من إسحق، (بواسطة إليعازر) (راجِعْ: تك ٢٤، ١١)، وخطبة راحيل من يعقوب (راجِعْ: تك ٢٩، ٩)، وخطبة صفورة من موسى (راجِعْ: خر ٢، ١٥). «كان الجميع نماذج عن ربّنا الّذي تزوّج الكنيسة إبّان معموديّته في الأردنّ»[٣٧]. وخلال معموديّته في مياه الأردن، غَسَلَ المسيح الكنيسة، عروسه، وطهّرها لتكون من دون دنس أو تَغَضُّن (أف ٥، ٢٧): «تباركتِ، أيّتها الكنيسة المقدّسة والممَجّدة، عروس المسيح الّذي أراد، بمحبّته، أن يُعطيك جسده، وأن يُخلّصك بدمه، وأن يَغْسِلك من شوائبِك بمعموديّته، وأن يُقدّسك بنعمته»[٣٨]. ويرمز عُرس قانا أيضًا إلى عُرس المسيح والكنيسة[٣٩]، في إشارة

---

[٣٦] أُنْظُرْ:

Aphrahat, *Dem.* XIV, 39: PS I, p. 681, ln. 26 – p. 684, ln. 1.

[٣٧] أُنْظُرْ:

Ephrem, *CDiat.* III, 17: CSCO 137, Arm. 1, p. 45.

في رأي يعقوب السّروجيّ، إن خطوبة يعقوب مع ليئَة وراحيل تدُلّ مسبقًا على خطوبة يسوع مع إسرائيل ومع الكنيسة. راجِعْ:

Jacob of Sarug, "A homily on Our Lord and Jacob, the Church and Rachel", HSJS III, pp. 208-223.

[٣٨] أُنْظُرْ:

Hudra III, p. 586 (ܠܡܫܚܐ).

[٣٩] أُنْظُرْ:

Ephrem, *CDiat.* V, 8: CSCO 137, Arm., pp. 62-63; Ephrem, *Hymns on Virginity,* XVI, 2 and XXXIII, 1: CSCO 223, Syr. 94, p. 55, pp. 119-120; Ephrem, *Hymns against Heresies*, XLVII, 3: CSCO 169, Syr. 76, pp. 183-183.

إلى الإفخارستيّا، وليمة عُرْس الرَّبّ والكنيسة[٤٠]. ومع ذلك، إذا كانت الكنيسة مخطوبة للمسيح في الأردنّ، فستصبح حقًّا عروس المسيح على الصّليب. إنّ الدّم الحيّ الّذي حَفَرَ به المسيح المَهْر[٤١] هو الدّم الّذي دفعه من أجل عروسه: «ابتهجي وافرحي أيّتها الكنيسة الأمينة في العريس... الّذي وهَبَكِ جسدَه الثّمين ودمه كَمَهْر»[٤٢].

٢٠– تكشف صورة العروس والعريس، المشتركة في التّقليدَيْن اللّاتينيّ والسّريانيّ، حبّ الله الأزليّ وغير المشروط لشعبه (راجِعْ: يو ٣، ١٦). لذلك، تُعبِّر صُوَر الخِدْر هذه عن اتّحاد المسيح الحميم غير المشروط بالكنيسة الّذي لا يُفسَخ. في هذا الاتّحاد، تأتي المبادرة كلّها من المسيح، الّذي أعطاها جسده ولم يتوقّف عن الإغداق عليها بالحبّ والنِّعَم. ومن جهتها، تستجيب لهذا الحبّ المنشود بحبّ حارّ وحَصْريّ. ويُبيّن تاريخُ الكنيسة أنّ هذه الصّورَة تحمِلُ بُعدَين: بُعْدُ الأمانة (عروس نشيد الأناشيد) وبُعْدُ الخيانة (إمرأة هوشع)، ممّا يعني أنّ القداسةَ تتعايش مع الفَشَل.

[٤٠] أُنْظُرْ:

Jacob of Sarug, *Homily 43 on Our Lord portrayed in Scripture as food and drink,* HSJS II, p. 237, ln. 20 – p. 238, ln.10.

[٤١] أُنْظُرْ:

Hudra III, p. 586 (ܬܫܒܘܚܬܐ).

[٤٢] أُنْظُرْ:

Ibid, p. 576-577 (ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܡܪܝܐ -).

سادسًا: الأمّ

٢١– لا تَرِد صورة الكنيسة كأمٍّ للمؤمنين بشكل صريح في الكتاب المقدّس. ومع ذلك، يبدو أنّ هذه الصّورة تتجلّى ضمنيًّا في العهد الجديد، في كلمات المسيح على الصّليب، على سبيل المثال، حين عَهَدَ إلى يوحنّا، تلميذه، لتكون له أمًّا: «هذه أمّك» (يو ١٩، ٢٧). وعلاوةً على ذلك، حينما يَستحضِر القدّيس بولس أُمومة أورشليم السّماويّة، يُعلن: «أمّا أورشليم العُليا، فَحُرّة، وهي أمّنا» (غلا ٤، ٢٦؛ راجِعْ: رؤيا ١٢). يُقارن القدّيس بولس هنا بين الشّعبَيْن: إسرائيل وكنيسة الأمم، مُمثّلة بامرأتَيِ إبراهيم: فيُعطي اسم الأمّ، الّذي كان مُرتبطًا في السّابق بأَوّل شعب مُختار، إلى الجماعة الّتي تؤمن بيسوع، ويُقابل حرّيَّة هذه الجماعة بِثِقل الشّريعة الموسويّة.

٢٢– كانت صورة الكنيسة كأمّ من أكثر الصّوَر الشّعبيّة في المسيحيّة الأولى. ولطالما أصرَّ التّقليد اللّاتينيّ القديم للآباء على موضوع الكنيسة الأمّ الّتي تقود المؤمنين إلى حياة جديدة. وقد وازى الآباء اللّاتين في أغلب الأحيان بين الأمَّيْن، مريم والكنيسة، من خلال كمال إيمانها، الكنيسة أُمٌّ عذراء، كما أنّ مريم هي الأمّ البتول لعمانوئيل. مريم هي رمز الكنيسة في مفهوم الإيمان والمحبّة والاتّحاد الكامل بالمسيح[٤٣]، كما يُعلّم أمبروسيوس. وفي السّياق عينه، إنّ بتوليّة مريم الخصبة هي علامة مُميّزة لعلامة الكنيسة. ويُقارن كبريانوس بين أبوّة الله وأمومة الكنيسة في صيغته الشّهيرة ضدّ

---

[٤٣] أُنْظُرْ:

Ambrose, *Expos. Lc.* II, 7: PL 15, 1555.

الانقسام: «لا يُمكن أن يكون الله أبًا إنْ لم تكن الكنيسة أمًّا»[٤٤]. المعموديّةُ هي مكان الولادة، «هناك أمّ واحدة فحسب، غنيّة بالنّجاحات المتتالية لخصوبتها»[٤٥]. لا تَلِدُ الكنيسة الأطفال فحسب، بل تُغذّيهم مثل الأمّ بالإفخارستيّا[٤٦]، وبحَليب كلمة الله، كما يقول أوغسطينوس: «الكنيسة أمّ مُرضِعة، لها ثَديان: العهد القديم والعهد الجديد»[٤٧]. يشترك جميع المؤمنين، الّذين قطعوا شوطًا في طريق النّعمة، في هذه الأمومة. فحين يفعلون إرادة الآب، يكونون، مع مريم والكنيسة، أمّي المسيح في نفوسهم (راجِعْ: متّى ١٢، ٥٠)[٤٨]. ويقول أوغسطينوس: «لنُحِبّ الرَّبّ إلهنا، لنُحِبّ الكنيسة. هذه كالآب، وتلك كأمّنا»[٤٩].

٢٣– موضوع الكنيسة–الأمّ في حدّ ذاته لا يسترعي انتباه الآباء السّريان مباشرة. ومَرَدُّ ذلك أنّ المسيحيّة السّريانيّة في بداياتها، على ما يبدو، كانت تُسند صورة الأمّ إلى الرّوح القدس (*Ruha*)، الّذي كان يُنظر إليه على أنّه وجه أنثويّ وأموميّ يرتبط بالحمامة الّتي تبسط جناحها فوق مياه نهر الأردنّ. ومع ذلك، إنّ تشخيص الكنيسة

---

[٤٤] أُنْظُرْ:

Cyprian, *De unitate Ecclesiæ*, c. 6. PL 4 503A.

[٤٥] أُنْظُرْ:

Ibid, c. 5.

[٤٦] أُنْظُرْ:

Hippolyte, *Commentary on the Song of Songs*, II.

[٤٧] أُنْظُرْ:

Augustine, *Homily 3 on the First Epistle of John*; PL 35, 1998.

[٤٨] راجِعْ:

Augustine, *De sancta virginitate*, I, 6.

[٤٩] أُنْظُرْ:

Augustine, *Enarr. in Ps.* 88, 11, 14, PL 38, 1140-1141.

لصورة مريم تسمح لنا بتعميق موضوع الأمومة على أساس التّصنيف الآبائيّ لِحَوّاء[٥٠] الجديدة. إنّ مريم، والدة المسيح وأمّ المؤمنين هي رمز الكنيسة–الأمّ. وكما أنّ حوّاء الأولى الّتي وُلِدَت من جَنْبِ آدم، هي أمُّ جميع الكائنات الحيّة، كذلك حوّاء الجديدة، مريم، هي أمّ جميع المؤمنين ورمز الكنيسة الّتي ولدت بالأسرار من جَنْبِ آدم الجديد الّذي طُعِنَ على الصّليب. وكما يقول مَيْمَرُ الأسبوع المقدّس المنسوب إلى أفرام: «دعونا نُطلق على الكنيسة نفسها اسم مريم، إذ يليق بها أن يكون لها اسمان»[٥١]. لِمَريم علاقة مزدوجة بالكنيسة: تنتمي إلى الكنيسة كَأوّل المؤمنين. وكَوالدة المسيح، هي أمّ جميع أعضاء جسد المسيح، في التّعبير المجازيّ للكلمة. وهكذا، إنّ مريم والكنيسة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا كرمزَيْن: عذراء وأمّ.

تُصبح الكنيسة أمّ المؤمنين من خلال المعموديّة الّتي تُحيي الّذين يُعاقبونها. في هذا السّياق، يُقارن أفرام مياه المعموديّة بـ«الرّحِم» الّذي يَلِدُ أبناء الكنيسة[٥٢] روحيًّا. ويُؤكّد أفرام في ترانيمه عن عيد الظّهور الإلهيّ قائلًا: «المعموديّة أمّ تَلِدُ كلّ يومٍ أطفالًا روحيّين وتُعطي أبناءً جُدُدًا مقدّسين لله»[٥٣]. وفي ترانيمه عن البتوليّة، يستحضر المياه المقدّسة بمعموديّة المسيح الّتي أصبحت مُقدّسة للّذين اعتمدوا فيها: «خلال

---

٥٠ راجِعْ:

Irenaeus of Lyons, *Adversus haereses* III, 21, 12.

٥١ راجِعْ:

Ephrem, *Sermo ad nocturnum dominicae resurrectionis;* in *St. Ephraemi Hymni et Sermones*, ed. Lamy I, 533.

٥٢ أُنْظُرْ:

Ephrem, *CDiat.* II, § 8: Eng tr. C. McCarthy, *Diatessaron,* p. 64.

٥٣ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Epiphany*, XIII, 1: CSCO, 186, Syr. 82, p. 189.

معموديّتك، أيّها المخلّص، تَقدَّسَتْ ينابيع المياه وصارت حضنًا روحيًّا للبشريّة»[٥٤].

تَطوّر مفهوم أمومة الكنيسة في المعموديّة أيضًا في **كتاب المراحل** (*Liber Graduum*)، حيث تُصوَّر الكنيسة كأُمّ تربّي أطفالًا للكنيسة السّماويّة: «هذه المُرضِعة المباركة، الّتي تحمل الأطفال الجميلين وتُربّيهم كلّ يوم وتُرسلهم إلى الكنيسة العظيمة العليا»[٥٥]. نَجِدُ في موضِع آخر: «هذه الكنيسة بمذبحها ومعموديّتها، تحمِلُ الرّجال كأولاد يرضَعون لبَنَها حتّى يُفطَموا»[٥٦].

وأخيرًا، لا تكتفي الكنيسة بإعطاء الحياة لأولادها، بل تُوزّع عليهم أيضًا مواهب روحيّة، وتُغذيهم بالكلمة والأسرار. تَحبل الكنيسة وتَبعثُ حياة الإيمان روحيًّا والشّركة في الله ومعه، وتهبهم مواهب الرّوح القدس وتُغذّيهم على مائدة جَسَد المسيح ودمه. تحتفِل ليترجيّا كنيسة المشرق أيضًا بأمومة الكنيسة، ولا سيّما في ليترجيّا السّاعات: «ثَبّت يا ربّ حياتها [الكنيسة] برحمتك واحتفِظْ بأولادها في نعمتك»[٥٧]. «أُنظُرْ بحنان، وارحَمْ يا مُخلّصنا، اِنهَضْ بكنيستك واحْفَظْ أولادها بصلاة جميع قدّيسيك»[٥٨].

---

[٥٤] أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Virginity*, VII, 7: CSCO 223, Syr. 94, p. 26.

[٥٥] أُنْظُرْ:

Liber Graduum, "*On the hidden and public ministry of the Church*", XII, 2: PS III, p. 289, ln. 24 – p. 292, ln. 1.

[٥٦] أُنْظُرْ:

Ibid., XII, 3: PS III, p. 292, ln. 26 - p. 293, ln. 2.

[٥٧] أُنْظُرْ:

Hudra III, p. 563 (ܬܫܡܫܬܐ).

[٥٨] أُنْظُرْ:

Ibid., p. 597 (ܬܫܡܫܬܐ).

٢٤– يُبيّن موضوع الكنيسة الأمّ أنّ الحياة المسيحيّة مسيرة متدرّجة: ينمو المؤمنون في حياة الإيمان الّتي هي حياة المسيح فيهم، من خلال اللّيترجيّا والأسرار والتّوق إلى القداسة. ما يُمكننا أن نقوله عن الكنيسة، يُمكننا أن نقوله عن كلّ مؤمن. كلّ عُضوٍ في الكنيسة هو صورة مصغّرة عن الكنيسة: عروس المسيح من خلال مَحبّة لا تتجزّأ، ولكن من خلال الخصوبة الرّوحيّة للشّهادة والمحبّة أيضًا، «أخ وأخت وأمّ للمسيح» (راجِعْ: متّى ١٢، ٥٠). هذا الموضوع الخاصّ بالكنيسة الأمّ يسمح لنا باستحضار وحدة المسيحيّين، أبناء الأمّ نفسها، كما يقول أفرام: «لكي يكون لجميع الكنائس كنيسة واحدة للحقيقة، ولكي يكون أولادها مجتمعين وصالحين في داخلها، من أجل أن نعترف بصلاحك – التّسبيح للمصالحة»[٥٩].

سابعًا: الكرمة

٢٥– تُستمدّ صُوَر الكنيسة في الكتاب المقدّس غالبًا من الحياة في الحقول. فالكنيسة هي أرض الزّراعة و«حقل الله» (١ قو ٣، ٩). في هذا الحقل، تنمو شجرة الزّيتون القديمة. جذورها المقدّسة هي الآباء الّذين بواسطتهم تمّت المصالحة بين اليهود والأمم (رو ١١: ١٣–٢٦). بيد أنّ الصّورة الّتي تتكرّر كثيرًا هي صورة الكرمة. فبالنّسبة إلى الأنبياء، تُمثّل الكرمة المُنتقاة الشّعب المختار، الّذي أحاطه الرّبّ بعنايته، الكرّام السّماويّ؛ بيد أنّ هذه الكرمة خائنة (راجِعْ: هوشع ٣، ١؛ ١٠، ١)، عقيمة في الأعمال الصّالحة (راجِعْ: إر ٢، ٢١؛ ٨، ١٣)، كما يأسف

[٥٩] أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Faith*, LII, 15: CSCO 154, Syr. 73, p. 164.

عليها نشيد الكرمة في كتاب أشعيا: «أنتظر أن يُثمر عنبًا، فأثمر حِصرِمًا بريًّا» (أش ٥، ١-٢). فسلّمه الكرّام إلى الدّمار (أش ٥، ٧؛ إر ٥، ١٠؛ ١٢، ١٠؛ راجِعْ: حز ١٩: ١٠-١٤؛ ١٥، ٦). ولكن في يوم من الأيّام، ستُصبح الكرمة أمينة (مز ٧٩: ٩-١٧).

وفي أمثال يسوع، تحدّدت الكرمة بوضوح: «إنّ كَرْمَ رَبِّ الجنود هو بيتُ إسرائيل» (أش ٥، ٧). فإذا لم تحمِل ثمارًا لصاحبها، فلأنّ الكرّامين، قادة إسرائيل، يختلسون ربحها، ويقتلون الأنبياء، وفي آخر المطاف يقتلون الابن الوحيد. لذلك سيُعاقبون وسيُؤتمن الآخرون على ملكوت الله، كما يُخبرنا مثل الكرّامين الخائنين (متّى ٢١: ٣٣-٣٤). أمّا الكرّامون المخلصون فهم أولئك الّذين يُوافقون بالفعل على العمل في الكرم (لا بالكلام فحسب، مثل الابن الأكبر في مَثَلِ متّى ٢١: ٢٨-٣٢، الّذي يُمثّل قادة الشّعب المختار الأوّل)، حتّى الّذين عملوا في السّاعة الأخيرة (متّى ٢٠: ١-١٥). إنّ أهمّ نصوص العهد الجديد عن الكنيسة-الكرمة هو الفصل ١٥ من يوحنّا وما يليه. إنّ معناه قريب من جسد المسيح. نَعْبُرُ هنا من الكنيسة-الكرمة إلى الكرمة-المسيح. الكرمة الحقيقيّة هي المسيح: الّذي يُعطي الحياة ويُخصّبنا نحن أغصانها. نبقى في المسيح بنعمة الكنيسة، ومن دونه، لا نستطيع أن نفعل شيئًا. لقد اتّخذ المسيح طبيعتنا بالتّجسُّد، لأنّ الكرمة هي من طبيعة الأغصان.

٢٦- ألهمت صورة الكرمة الّتي ترمز إلى دعوة إسرائيل ثمّ إلى رَفْضِه الآباء السّريان مثل أفراهات وأفرام ويعقوب السّرّوجيّ. يُقارن يعقوب نشيد أشعيا عن الكرمة (أش ٥: ١-٧) بمثل الكرّامين (متّى ٢١: ٣٣-٤٣): الكرمة الّتي وصفها أشعيا هي رمز إسرائيل، تمامًا مِثْلَ الكرّامين في إنجيل متّى الّذين قتلوا الوريث. ومن ثمّ، عَهَدَ صاحب

الكرم إلى كرّامين آخرين (متّى ٢١، ٤١)[٦٠]. وبِغَضّ النّظر عن هذه القصّة، ترمز الكرمة أيضًا إلى علاقة الكنيسة بالمسيح، الّتي وصفها أفرام في ترنيمة طويلة ترمز إلى الكنيسة-الكرمة[٦١]، الّتي هي واحدة مع المسيح. الكرمة هي رمز آلام المسيح والإفخارستيّا، ولكنّها ترمز أيضًا إلى حصاد دينونة الله (رؤ ١٩-١٤).

٢٧- توسّع الآباء اللّاتين أيضًا في صُوَرِ الكنيسة كَكَرمة. في هذا السّياق، يختصر غريغوريوس الكبير التّفسير الكنسيّ التّقليديّ لِمَثَلِ الكرّامين الخائنين في متّى ٢١: «يملك [خالقنا] كرمة، الكنيسة الجامعة، الّتي نشأت، منذ هابيل الصّدّيق إلى آخر إنسان مختار سيولد في آخر الأزمنة، فقد نمت فيها أغصان كثيرة وأنجبت قدّيسين»[٦٢]. يُقارن أمبروسيوس هذا المثل بصورة الكرمة في يوحنّا ١٥: «من العادل أن نُطلق على شعب المسيح كرمة، إمّا لأنّهم يُزيّنون جباههم بإشارة الصّليب، وإمّا لأنّهم يحصدون ثمارها في الموسم الأخير من السّنة، وإمّا لأنّه، كما هي الحال مع صفوف الكرمة، كذلك بالنّسبة إلى الجميع، الفقراء والأغنياء، المتواضعين والأقوياء، الخدّام والأسياد، إذ هناك معيار عادل في كنيسة الله، من دون أيّ تمييز»[٦٣]. يُشير القدّيس أوغسطينوس إلى أنّ الأغصان أيضًا جزء من الكرمة، ممّا يجعل منها صورة

---

[٦٠] أُنْظُرْ:

Jacob of Sarug, *Homily 133 on the Parable of the Vineyard,* HSJS IV, p. 760, lns. 15-16.

[٦١] أُنْظُرْ:

Ephrem, *De Ecclesia*, 1-15: CSCO 174, Syr. 78, pp. 67-70.

[٦٢] أُنْظُرْ:

Gregory the Great, *Homily 19 on the Gospels*, PL 76, 1154 sq.

[٦٣] أُنْظُرْ:

Ambrose, *Commentaries on Saint Luke,* IX, 23-33, PL 15, 1799-1802.

للتّجسُّد: «لأنّ الكرمة والأغصان لها الطّبيعة نفسها، لذلك، عندما كان إلهًا، من الطّبيعة الّتي لا ننتمي إليها، صار إنسانًا كي تكون الطّبيعة الإنسانيّة الكرمة الّتي يُمكننا أن نكون أغصانًا فيها»[٦٤]. الكرمة في الواقع هي المسيح، الكرمة والأغصان، أو وفقًا لصورة بولس المناسبة، الرّأس والجسد. فهي إذًا شركة النّسْغِ والحياة والنّعمة بين المسيح وكنيسته.

تستدعي صورة الكرمة، أكثر من الصّور الأخرى، الغسل والتّنقية الضّروريَّيْن. فينبغي لأعضاء الكنيسة الّذين يعرفون ذلك ألّا يقلقوا. نُقلّم الكرمة لكي تزداد خصوبة، كما يقول أوغسطينوس: «من الإنسان في هذه الحياة الّذي صُقِلَ بما فيه الكفاية حتّى لا يحتاج إلى المزيد...؟ يُقلّم الله الّذين قُلّموا بالفعل، كي يؤتوا بثمر، ولكي يؤتوا بثمر أكثر لا بدّ من تقليمهم»[٦٥].

٢٨- تشير الصّوَر النّباتيّة إلى الطّابع الحيويّ للكنيسة، وإلى نُمُوّها السّرّيّ والتّدريجيّ الّذي لا يُقاوَم، وإلى الموت الرّوحيّ للّذين يفصلون أنفسهم عن جذعها. فمن النّاحية الرّوحيّة، تُبيّن، أكثر من الصّوَر الجسديّة، ضرورة التّقليم لنموّ الحياة في المسيح. وتُبيّن أيضًا أنّ الكنيسة هي غرسة الله، كحديقة روحيّة مكوّنة من أشجار، من مسيحيّين ومعمَّدين جُدُد، (حرفيًّا، نباتات جديدة)، مزروعة بالمعموديّة، وأخيرًا كفردوس، كما يصفه كبريانوس: «تحتوي الكنيسة داخل جدرانها، على غرار الفردوس، أشجارًا مليئة بالثّمار. تُسقى هذه الأشجار من الأنهر الأربعة، الّتي هي الأناجيل الأربعة،

---

٦٤ أُنْظُرْ:

Augustine, *Tractatus, 80 in Ioan.1*, PL 35, 1839.

٦٥ أُنْظُرْ:

Ibid., *PL* 35, 1840.

والّتي من خلالها توَزَّعُ نعمة المعموديّة»[٦٦]. في هذا الفردوس، «شجرة الحياة»، كما يقول أفرام: «لقد زرع الله حديقة جميلة. وبنى كنيسته النّقيّة. وفي وسط الكنيسة، زرع الكلمة. تُشبه جماعة القدّيسين الفردوس»[٦٧].

ثامنًا: القطيع

٢٩– قدّم الله شعبه في العهد القديم على أنّه قطيع كان يُريد أن يكون له راعيًا (راجِعْ: حز ٣٤، ١١؛ مز ٢٢، ٧٩). وفي الإنجيل، الرّاعي الحقيقيّ هو المسيح (راجِعْ: يو ١٠، ١١؛ ١ بط ٥، ٤)، المدخَل الوحيد والضّروريّ إلى حظيرة المسيح (راجِعْ: يو ١٠: ١–١٠)، الّذي يقود ويُغذّي خرافه الّتي بَذَلَ حياته في سبيلها (يو ١٠: ١١–١٥). يتماهى الرّاعي مع الحمل، الّذي يقود خرافه إلى «ينابيع ماء الحياة» (رؤ ٧، ١٧؛ راجِعْ: ١٤، ٤). وفي الوقت عينه، الرّاعي هو العريس الّذي يرعى بين السّوسَن (نشيد الأناشيد ٢، ١٦). وجاء في الفصل التّاسع عشر من سَفْرِ الرّؤيا: «قد حان عُرْس الحَمَل، وعَروسُه قد تزيَّنَت وخُوِّلَت أن تَلبَس كتّانًا برّاقًا خالصًا، فإنّ الكتّان النّاعمَ هو أعمال البرّ الّتي يقوم بها القدّيسون» (رؤ ١٩، ٨).

٣٠– يُعَدّ الرّاعي الصّالح أحد أقدم التّشبيهات الأيقونيّة للمسيح، إذ رُسِمَت في الدّياميس الرّومانيّة في زمن مُبكّر (مثل دياميس بريسيلا وكاليتوس). وقد عَلّق الآباء

---

[٦٦] أُنْظُرْ:

Cyprian, *Epist. 73*, 10. JD 39.

[٦٧] أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Paradise,* VI, 7-9: CSCO 174, Syr. 78, p. 21.

اللّاتين بإسهاب على رَمْز الرّاعي الصّالح، إذ هو «الوحيد الّذي يرعى خرافه بِعَدْل»، كما يقول أوغسطينوس[٦٨]. يقود المسيح الخراف ويُطعمها باستمرار، «وإن كان يقودها رعاة من النّاس»[٦٩] – بدءًا من بطرس الّذي قال له المسيح: «اِسهَرْ على خرافي... اِسْهَر على خرافي» (يو ٢١: ١٦–١٧). هذه العلاقة الحميمة لا يُمكن تحقيقها إلّا داخل الكنيسة الواحدة، الّتي يجب أن تُصبح كنيسة جامعة، تُوحّد جميع البشر، حتّى الّذين هم بعيدون عنها، إمّا منذ البداية وإمّا بالخطيئة، كما يقول لاون: «هو الّذي جَمَعَ، من دون تثنية أيّ شعب، جميع الأمم تحت السّماء في قطيع واحد من النّعاج المقدّسة، والّذي يُتمّم كلّ يوم ما وَعَدَ به: ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة فَتِلكَ أيضًا لا بُدَّ لي من أن أقودها وسَتُصغي إلى صوتي فيكونُ هناك رَعيّةٌ واحدة وراعٍ واحد [يو ١٠، ١٦]»[٧٠]. كما يَربط الآباء اللّاتين صورة الرّاعي الصّالح الواردة في إنجيل يوحنّا بمثل الأناجيل الإزائيّة عن الخروف الضّال، الخروف المئة، الّذي غالبًا ما كان مصدر إلهام لهم، الخروف المئة الّذي يرمُز إلى الوثنيّين والخاطئ – وهي استعارة استُخدِمَت في معظم التّقليد الآبائيّ – والبشريّة جمعاء.

٣١– توسّع الآباء السّريان أيضًا في صورة القطيع. في هذا السّياق، يُفسّر ثيوضورس المصّيصَة الفصل العاشر من يوحنّا ويُشدّد على الرّاعي الصّالح الّذي يَهبُ حياته: «أنا الرّاعي الصّالح. ففي الوقت الّذي يقتل فيه اللّصّ، أنا لا أقتُل، بل أُعطي حياةً

---

[٦٨] أُنْظُرْ:

Augustine, *Homily on the Pastors, LH,* 25th Thursday *per annum.*

[٦٩] أُنْظُرْ:

Ibid.

[٧٠] أُنْظُرْ:

Leo the Great, *Homily 63 on the Passion.*

جديدة للجنس البشريّ بعد أن نَزَعْتُ عنه الموت»[٧١]. تسمح الصّورة لثيوضورس بأن يُنوّه بفرادة الكنيسة الّتي دُعيَت إلى جمْع الوثنيّين واليهود: «وهكذا يكون قطيع واحد، وراعٍ واحد. تُشير هذه العبارة إلى الّذين سيؤمنون من الوثنيّين، لأنّ كثيرين من الوثنيّين وكثيرين من اليهود قد أُعِدّوا ليجتمعوا في كنيسة واحدة، ليعترفوا براعٍ واحد وربٍّ واحد هو المسيح»[٧٢]. يستحضر أفرام في تفسيره كتاب **الدّياتيسرون** لتاتياونس دور بطرس أيضًا: «بعد أن أكمل يوحنّا المعمدان حياته، سَلّمَ قطيعه إلى رئيس الرّعاة. فقد تصرّف مثل ربّه، الّذي سَلّمَ بدوره قطيعه إلى رئيس الرّعاة عند موته، ذاك الّذي اعترف به بفمه وانهمرت دموعه عربون محبّته له. وهكذا، بَيّنَ الرّاعي للقطيع الاهتمام الّذي خصّه به. لم يُسلّم الرَّبّ قطيعه الصّغير إلى راعيه إلّا بعد أن حصل على ضمانات حقيقيّة. فقد حَصَلَ على اعترافات بطرس الثّلاثة عربونًا جديرًا بالثّقة ردًّا على نكرانه المسيح ثلاث مرّات. فحين يقول السّيّد له: أتُحبّني؟ كان يريد ربّنا منه حبًّا صادقًا، حتّى يتمكّن (بطرس)، بعد أن يُقدّم له عربون المحبّة، من قبول الخراف من يسوع كقطيع»[٧٣].

٣٢– هذه الصّوَر كلّها عن الرّاعي والقطيع، المشتركة بين التّقليدَيْن اللّاتينيّ والسّريانيّ، تتلاقى من أجل استحضار محبّة المسيح لكنيسته، ولكلّ عُضوٍ من

---

[٧١] أُنْظُرْ:

Theodore of Mopsuestia, *Commentary on the Gospel of John*, in *Commentary on the Gospel of John,* trans., Marco Conti, ed., Joel E. Elowsky, ACT, pp. 92-93.

[٧٢] أُنْظُرْ:

Theodore of Mopsuestia, *Commentary on the Gospel of John*, in *Commentary on the Gospel of John,* trans., Marco Conti, ed., Joel E. Elowsky, ACT, pp. 93-94.

[٧٣] أُنْظُرْ:

Ephrem, *CDiat.* IX, § 5: Eng tr. C. McCarthy, *Diatessaron,* pp. 156-157.

أعضائها، ولا سيّما العاجزين والتّائهين، بدافع الحبّ، إذ يُغذّيهم ويوجّههم ويحميهم ويبذل حياته في آخر المطاف من أجلهم. تتطلّب علاقته الشّخصيّة معهم المعاملة بالمثْل. فالّذين هُمْ جزء من هذا القطيع هُمْ أولئك الّذين يتعرّفون إلى صوت مخلّصهم عندما يناديهم بأسمائهم.

تاسعًا: المستشفى الرّوحيّ

٣٣– هناك مفهوم آبائيّ آخر للكنيسة يتجلّى في مكان الشّفاء، يُسمّى أحيانًا بالمستشفى الرّوحيّ[٧٤]. فإذا كان العهد القديم لا يمنع اللّجوء إلى الممارسات الطّبّيّة (راجِعْ: ٢ ملو ٢٠، ٧؛ طو ١١، ٨)، فإنّ اللّجوء إلى الله هو قبل كلّ شيء، إذ هو سيّد الحياة الّذي يشفي (راجِعْ: خر ١٥، ٢٦). ويُعلن الأنبياء عن القضاء على كلّ الأمراض في العالم الجديد (أش ٣٥، ٥) بفضل الرّجل الصّالح الّذي يأخذ على عاتقه أمراضنا (راجِعْ: أش ٥٣، ٥). كما يشفي يسوع بأعجوبة المرضى الّذين يؤمنون (أُنْظُرْ على سبيل المثال متّى ٩، ٢٨؛ مر ٨: ٢–٦). فيُقدّم نفسه كطبيبٍ للخطأة (مر ٢، ١٧)، طبيبٍ يُزيل الأوهان والأمراض، ويأخذها على عاتقه (متّى ٨، ١٧). ومع ذلك، إنّ الشّفاء الجسديّ ليس سوى جانبٍ واحدٍ من عَمَل المسيح الشّامل للشّفاء، وعملٍ رمزيّ لشفاء الطّبيعة البشريّة نفسها. تشير إيماءات يسوع

---

٧٤ أُنْظُرْ:

John Chrysostom, “Against Publishing the Errors of the Brethren”, in P. Schaff, ed., *Nicene and Post-Nicene Fathers. First Series,* Vol. IX, p. 235.

تجاه المرضى إلى العمل المحيي الّذي حقّقه. هذه الأمور كلّها ليست سوى مقدّمة للأسرار المسيحيّة.

لم يَحتفظ المسيح بهذه القدرة لنفسه، بل نقلها إلى الرّسل عندما أرسلهم ليُبشّروا بالملكوت (راجِعْ: متّى ١٠، ١–٨؛ مر ٦، ١٣؛ لو ٩: ١، ٢، ٦). ويذكر **أعمال الرّسل** العديد من الشّفاءات العجائبيّة باسم يسوع (راجِعْ: أع ٣: ١–١١؛ ٨، ٧؛ ٩: ٣٢–٣٤؛ ١٤: ٨–١٠). ويُشير القدّيس بولس إلى عطيّة الشّفاء كإحدى المواهب الّتي منحها الله لخير الكنيسة العامّ (راجِعْ: ١ قو ١٢، ٩).

٣٤– يتكرّر موضوع الكنيسة كمكانٍ للشفاء عند الآباء السّريان. يبحث **البيان** السّابع لأفراهات، في هذا الموضوع[٧٥]، ويعتبر أنّ هناك علاجات لجميع الأمراض في هذا المستشفى (أي الكنيسة)، لأنّ الطّبيب الحكيم، يسوع المسيح، مُقيمٌ هناك[٧٦]. ومثلما يُصابُ جُنديٌّ في الحرب، يتعرّض الشّخص العامل في الحرب الرّوحيّة لإصابة العدوّ[٧٧]. إذا التجأ المصاب إلى يدَي الطّبيب الحكيم، فسيُشفى[٧٨]. وخلافًا لذلك،

---

[٧٥] أُنْظُرْ:

Aphrahat, *Dem.* VII, 2-6: PS I, p. 316, ln.6 – p. 321, ln.15.

[٧٦] أُنْظُرْ:

Ibid. 2: PS I, p. 316, lns. 6-8.

[٧٧] أُنْظُرْ:

Ibid. 2: PS I, p. 316, lns. 17-21.

[٧٨] أُنْظُرْ:

Ibid. 3: PS I, p. 317, lns. 1-4.

ستتحوّل الجروح إلى نتانة من شأنها أن تقود إلى الموت[٧٩]. في رأي أفراهات، إنّ التّوبة والارتداد الحقيقيّين هما الأدوية الّتي تشفي الجرحى[٨٠].

إنّ الطّبيب/الشّافي (*asya*) ودواء الحياة (*sam Hayye*) هما عنوانان يُستخدمان للمسيح في الأدب السّريانيّ، ولا سيّما عند أفرام: «يا شافي الجميع! لقد شفَيْتَني من مرضي. لست قادرًا على دفع علاجاتك، إذ لا تُقدَّر بِثَمَن»[٨١]. وعلى غرار أفراهات، ينسب أفرام أيضًا إلى المسيح صور طبيب الحياة[٨٢]. ويرتكز تفسير **الدياتيسرون** ٧ على الشّفاء الجسديّ للمرأة في لوقا ٨: ٤٣-٤٨[٨٣]. المسيح هو شافينا وطبيبنا[٨٤]. ذلك أنّ المسيح ليس كسائر الشّافين الآخرين. فهو لا يشفي بواسطة الجراحة بل بالرّحمة والنّعمة[٨٥]. يشترك في هذه القوّة الشّافية كلّ من بطرس ويوحنّا والرّسل وخلفائهم، ولكن أيضًا شيوخ الكنيسة الّذين طلب منهم يعقوب أن يُصلّوا من أجل المرضى (راجِعْ: يعقوب، ٥، ١٤).

---

٧٩ أُنْظُرْ:

Ibid, 3: PS I, p. 317, lns. 8-11.

٨٠ أُنْظُرْ:

Ibid, 3: PS I, p. 317, lns. 7-8.

٨١ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Nisibis,* IV,16: CSCO 218, Syr. 92. p.16.

٨٢ أُنْظُرْ:

Main theme of *Hymns on Nisibis,* XXXIV: CSCO 218, Syr. 92. pp.80-83.

٨٣ أُنْظُرْ:

Ephrem, *CDiat.* VII, § 1- 27b: Eng tr. C. McCarthy, *Diatessaron,* pp. 129-144.

٨٤ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Nisibis,* XXXIV, 10-11: CSCO 218, Syr. 92, pp.82-83.

٨٥ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on the Church,* XXXI, 1: CSCO 198. Syr. 84, p.76.

يحصل الشّفاء قبل كلّ شيء من خلال الإفخارستيّا. فالخبز والخمر الإفخارستيّان، كما هو الأمر بالنّسبة إلى سرّ التّوبة، هما أدوية شفائيّة. ويعتبر أفرام أنّ المسيح هو «دواء الحياة»، الموجود بطريقة خفيّة في الخبز والكأس الإفخارستيَّيْن، فيقول في هذا الصّدد: «عُصِرَت عناقيد الرّحمة وأُعطِيَت دواءً لحياة الشّعوب»[٨٦]. إنّ طبّ الحياة هذا هو الّذي يُغذّي المسيحيّين: «لقد عمّدَ ربّنا البشريّة بالرّوح القدس، وغذّاها بدواء الحياة»[٨٧]. ويصف أفرام ثوب المسيح في النّشيد العاشر عن الإيمان بأنّه «ينبوع الأدوية»[٨٨].

٣٥– إنّ موضوع الكنيسة كمكان للشّفاء مُتضمّن عند الكثيرين من الآباء اللّاتين. فهم يرَون في السّامريّ الصّالح صورةً عن المسيح، ويرون في الرّجل، الّذي وَقَعَ في أيدي اللّصوص، البشريّة المجروحة بالخطيئة (راجِعْ: لو ١٠: ٢٥–٣٧). فلا النّاموس ولا الذّبيحة المُمثَّلان بمعلّم النّاموس واللّاويّ يكفيان لإنقاذ الإنسان من الخطيئة. وحده المسيح، الّذي حمل خطايا البشريّة، بتضحيته على الصّليب، يشفي البشريّة جمعاء من جراحها وخطاياها. يجعل من رحمته ملجأ، أي إنّ الكنيسة هي المكان الّذي يجد فيه المناضلون والمُتعَبون الرّاحة (راجِعْ: متّى ١١، ٢٨). يُفسّر بعض الآباء (مثل أوريجانوس) [٨٩] هذا الملجأ، الّذي يأخذ إليه السّامريّ الصّالح الجرحى للاعتناء

---

[٨٦] أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Virginity,* XXXI, 3: CSCO 223, Syr. 94, p. 113.

[٨٧] أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Nisibis,* XLVI, 8: CSCO 240, Syr. 102, p. 55.

[٨٨] أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Faith,* X, 7: CSCO 154. Syr. 73, p. 50.

[٨٩] أُنْظُرْ:

Origen, *Homily 34 on Saint Luke.*

بهم، على أنّه الكنيسة، «المستشفى الرّوحيّ» حيث يقود إليه يسوع الّذين أنقذهم فيجدون فيه ملجأً حتّى عودته. كما يُمكن اعتبار الزّيت إشارةً إلى زيت المسحة المُستخدَم في الكنيسة اللّاتينيّة للأسرار (المعموديّة، التّثبيت، الكهنوت المقدّس، ومسحة المرضى) والخمْر، علاج العصر، كمرجع للإفخارستيّا.

٣٦– إنّ صورة الكنيسة كمكان للشّفاء، الّتي يشترك فيها التّقليدان اللّاتينيّ والسّريانيّ، تعني أنّ أعضاء الكنيسة يحتاجون إلى المسيح قبل كلّ شيء لشفائهم. تُكمّل الأسرار علامات المسيح في الشّفاء. فحين حَمَلَ أمراضنا في أثناء آلامه، أعطى يسوع هذه الآلام معنًى جديدًا: فهي تحمل، كَكُلّ ألم، معنى الفداء. يُوكّد القدّيس بولس أنّ الأسرار تُوحّد المسيحيّين بالمسيح المتألّم (راجِعْ: ٢ قو ٤، ١٠)، إذ تُكمّل مِحَنَ المسيح من أجل جسده الّذي هو الكنيسة (قول ١، ٢٤). إنّ خدمة المرضى هي خدمة يسوع نفسه في أعضائه المتألّمين (راجِعْ: متّى ٢٥، ٣٦). كما أنّ المرضى في الكنيسة ليسوا أشخاصًا ملعونين نبتعد عنهم (راجِعْ: مز ٣٨، ١٢)، بل صورة المسيح يسوع وعلامته.

عاشرًا: السّفينة

٣٧– تظهر سفينة نوح في العهد القديم كرمزٍ للخلاص وأداةٍ للتّحرُّر الإسكاتولوجيّ. وفي العهد الجديد، نجد موضوع السّفينة في عظات الجليل والقِصَص المرتبطة ببحيرة طبريّا، ولا سيّما حَدَث العاصفة الّتي هدأت (راجِعْ: لو ٨: ٢٢–

٢٥؛ متّى ٨: ٢٣-٢٧؛ مر ٤: ٣٦-٤١؛ يو ٦:١٦-٢١). وهناك أيضًا إشارة إلى سفينة نوح في ١ بطرس ٣، ٢٠.

٣٨- تُعرِّف الكنيسة الأولى الكنيسة على أنّها سفينة تُبحِر في عالم مضطرب وعاصف، يُشبه المحيط. وقد اتّضحت هذه الصّورة في عدّة أعمال مثل رسالة إكليمنضس إلى يعقوب، **والقوانين الرّسوليّة** والدّراسة عن **المسيح الدّجّال** لإبوليتوس أسقف روما، إذ وُصِفت الكنيسة بأنّها سفينة، والله هو مالكها، والمسيح قائدها، والأسقف مرصدها، والكهنة طاقمها، والشّمامسة يُجدّفون فيها، ومعلّمو التّعليم المسيحي كقيّمين عليها. وتُعَدُّ الكنيسة قبل كلّ شيء مكانًا للخلاص، إذ غالبًا ما يرتبط الخلاص بالصّليب، كما هي الحال مع يوستنيانوس الّذي يُماهي صاري السّفينة برمز الصّليب. ويُعرّف ترتليانوس السّفينة في كتابه **في المعموديّة** على أنّها رمز الكنيسة، حينما يُفسّر حَدَثَ العاصفة الّتي هدأت: «تُنبئ السّفينة عن الكنيسة، الّتي، فوق بحر العالم، قد هزّتها أمواج الاضطهادات والتّجارب، بينما يتظاهر الرَّبّ بِصَبْرٍ أنّه نائم حتّى اللّحظة الأخيرة، عندما أيقظته صلاة القدّيسين، فحينئذ يسيطر على العالم ويُعيد السّلام إلى أَخِصّائه»[٩٠]. هذا الموضوع استعاده كبريانوس الّذي هو في أصل عبارة «لا خلاص خارج الكنيسة»[٩١] الّذي يُشير إلى وحدة الكنيسة وإلى

[٩٠] أُنْظُرْ:

Tertullian, *De baptismo,* XII, 8.

[٩١] أُنْظُرْ:

Cyprian, *De unitate Ecclesiae*, VI, PL 4, 503.

ضرورة الانتماء إليها من أجل الخلاص: «لا يُمكننا أن نضمن الخلاص بالمعموديّة إذا لم يتعمّد المرء في الكنيسة الّتي، بحسب رمز سفينة نوح، ترمز إلى الوحدة»[٩٢].

٣٩– صورةُ السّفينة كرمزٍ للكنيسة حاضرةٌ أيضًا لدى آباء السّريان، ولو أنّها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالدّعوة الأخرويّة للكنيسة. ولتوضيح رحلة الكنيسة في الزّمن الأخرويّ، يعرض التّقليد السّريانيّ، على غرار التّقاليد المسيحيّة الأخرى، صورًا ترتبط بالملاحة، كالسّفينة والميناء. وفي **البيان ١٤**، يحثّ أفراهاط الإكليروس، البحّارة، على الاعتناء بالسّفينة كي لا تغرق ويخسر ممتلكاته[٩٣]. وفي **البيان ٢٣**، يُقارن الكنيسة بسفينة تُبحِر في المياه المضطربة، ويقودها البحّارة الصّالحون[٩٤]. ويُقارن أفرام الكنيسة بسفينة نوح، الّتي يقودها المسيح، القبطان[٩٥]، ويتحدّث نارثاي عن سفينة الكنيسة[٩٦]. وتُقارن مريم في السّياق عينه، نموذج الكنيسة الحقيقيّ، بالسّفينة في تقليد كنيسة الشّرق اللّيترجيّ[٩٧].

---

٩٢ أُنْظُرْ:

Cyprian, *Epistle 74*, 11.

٩٣ أُنْظُرْ:

Aphrahat, *Dem.* XIV,16: PS I, p. 612, lns. 2-4.

٩٤ أُنْظُرْ:

Aphrahat, *Dem.* XXIII, 10: PS II, p. 28, ln. 21- p. 29, ln. 6.

٩٥ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Virginity*, XXXI, 15: CSCO 223, Syr. 94, p. 116.

٩٦ أُنْظُرْ:

R. H. Connolly, *The Liturgical Homilies of Narsai* (Texts and Studies VIII.1; Cambridge, 1909), p. 65.

٩٧ أُنْظُرْ

Aphrahat, *Dem.* XXIII, 10: PS II, p. 28, ln. 21- p. 29, ln. 6.

إنّ صُوَر المرفأ أو الوصول إلى المرفأ، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسّفينة، هي رمزيّة متكرّرة في الصّلوات اللّيترجيّة للشّرق السّريانيّ. ففي اللّيترجيّا، تُصوَّر الكنيسة على أنّها ملاذٌ للسّلام: «أيّها المسيح، لقد أقمت على الأرض ملاذًا للّذين يُسبّحونك»[٩٨]. ومع أنّ الكنيسة قد أُنشئَت على الأرض، إلّا أنّ أساسها وشكلها وتوجّهها النّهائيّ هو السّماء. يُدخل **كتاب المراحل** (*Liber Graduum*) مفهوم الكنائس الثّلاث: كنيسة السّماء والكنيسة المرئيّة على الأرض وكنيسة القلب الدّاخليّة[٩٩]. ترتبط الكنائس الثّلاثة ارتباطًا وثيقًا بينها. الكنيسة السّماويّة هي هدف الحياة المسيحيّة، كما صُوِّرت الكنيسة المرئيّة على مثال الكنيسة السّماويّة، وكنيسة القلب على غرار الكنيسة المرئيّة. يَفهم أفرام، في أناشيده ضدّ الهراطقة، حياة النّاس على أنّها مسيرة في ثلاث محطّات: من عدن إلى موسى، ومن موسى إلى المسيح، ومن عصر الكنيسة إلى ملكوت المستقبل[١٠٠].

٤٠- تُظهِر صورة السّفينة، المشتركة بين التّقليدَين اللّاتينيّ والسّريانيّ، الطّبيعةَ الخلاصيّة والإسكاتولوجيّة للكنيسة، الّتي لن تبلغ ملء كمالها إلّا في مجد السّماء، في فترة استعادة كلّ شيء (راجِعْ: أع ٣، ٢١). في هذه الفترة، سَتَسير البشريّة والعالم بأسره إلى تمامها في المسيح (راجِعْ: أفس ١، ١٠؛ ١ قو ١، ٢٠؛ ٢ بط ٣: ١٠-

---

٩٨ أُنْظُرْ:

Hudra III, p. 567 (ܠܘܡܐ).

٩٩ أُنْظُرْ:

Liber Graduum, *"On the hidden and public ministry of the Church",* XII, 1-7: PS III, pp. 285-304.

١٠٠ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns against Heresies*, XXVI, 4: CSCO 169, Syr. 76, pp. 104-105.

١٣). إنّ تعبير «الكنيسة السّائحة» الّذي تبنّاه المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني، هو تعبير مُستوحى من أوغسطينوس، إلّا أنّه لا يقلّ ملاءمة مع قناعة المسيحيّة السّريانيّة الأولى «لأنّه ليس لنا هنا مدينة باقية» (عب ١٣، ١٤).

حادي عشر: خاتمة

٤١- صيغَ لاهوت الكنيسة عند الآباء، ولا سيّما آباء القرون الأولى، بلغة نمطيّة ورمزيّة وليس في تعريفات مفاهيميّة ومنهجيّة. وبما أنّ معظمهم كانوا من الرّعاة، انطوى لاهوتهم على بُعْد راعويّ، للحِرص على وحدة جماعاتهم. يشرحون سرّ الكنيسة في ضوء العهد القديم، مستخدمين صُورًا كتابيّة تُشير إلى العهد الجديد. وغالبًا ما يتمّ التّعبير عن لاهوت آباء السّريان في ترانيم وَعِظات. لم تقُم حُجّتهم، بأسلوبهم السّاميّ، على البرهان بل على الاحتواء. في هذا كلّه، بقوا أمناء للمقولات الكتابيّة وللتّقاليد المدراشيّة للكنيسة اليهوديّة-المسيحيّة الأولى.

٤٢- تُكمّل صُوَرُ الكنيسة هذه وتوضِحُ السّمات والملاحظات الكلاسيكيّة للكنيسة من دون أن تحلّ مكانها. تحمل جميع الصّوَر مستويات مختلفة في المعنى، إذ ترتبط بعضها ببعض بطريقة متجانسة، وتُغني بعضها بعضًا. فعلى سبيل المثال، يرتبط الخمر (رَمْز الحكمة أو السّكر) والكأس (رَمْز الشّركة أو الغضب) بالعديد من الحقائق الأخرى: الكرمة والعنب والكرّام وقطف العنب والمعصرة والدّم والحُكْم والأسرار... هذه اللّغة الرّمزيّة هي في متناول الجميع. وباستطاعة هذه اللّغة، حتّى في أيّامنا، أن تتحدّث إلى معاصرينا أكثر من المفاهيم، الّتي تبقى، بالطّبع، ضروريّة.

٤٣- توضِح هذه الصّوَر ثلاثة جوانب أساسيّة في الكنيسة. أوّلًا، جانب الشّركة، الشّركة في جسد المسيح وفي وحدة الرّوح، واتّحاد الكرمة بالأغصان. ثانيًا، جانب حيويّ، ممّا يعني أنَ هناك شعبًا في حركة، وبناءً في طور الإنشاء، وكرمةً في نموّ دائم، وسفينةً في رحلة. ثالثًا، جانب عَرَّفَهُ أوغسطينوس بالكنيسة المختلطة (*Ecclesia permixta*)، تكون الزّوجة أحيانًا أمينة وأحيانًا أخرى غير أمينة، والكرمة تكون أحيانًا خصبة، وأحيانًا أخرى عقيمة، ذلك أنّه في الحقول ينمو الزّؤان إلى جانب القمح.

٤٤- تُبيّن الصّوَر الّتي استخدمها الآباء أنّ رؤيتهم للكنيسة هي رؤية مسيحانيّة. ذلك أنّ جميع الصّوَر ترتبط بالمسيح: حجر، راعٍ، زوج، مُهندس، كرّام، طبيب، ربّان سفينة. المسيح، بمعموديّته وموته وقيامته نال الخلاص وأسّسَ الكنيسة كمكان متميّز لاختباره. وقد وسَّعَ الآباء التّعابير المنسوبة إلى المسيح على الرّسل والكنيسة. والكنيسة هي رَمْز ملكوت المستقبل، ومُحرّك الخلاص، تُهيئ أولادها للحصول على ملء الخلاص في آخر الأزمنة من خلال سرَّيْ المعموديّة والإفخارستيّا. هذه الرّؤية لمحوريّة المسيح في الكنيسة مُدهشة للغاية لدى آباء السّريان، كما أنّ بُعْدَ الرّوح القدس لم يكن غائبًا عندهم. ويبدو أنّه إذا تأمّلنا بالعمل الأمومي للرّوح، نَجِدُ عندهم رؤية شخصيّة ورؤية عن الأسرار لعمل الرّوح القدس.

٤٥- إنّ صُوَر الكنيسة، المشتركة بين التّقليدَيْن اللّاتينيّ والسّريانيّ، ينطويان على قيمة مسكونيّة كبرى. فهي تدعونا إلى التّفكير في وحدة الكنيسة. والكنيسة هي

أمّنا لأنّها ترغب في لَمِّ شَمْلِ أبنائها[١٠١]. ويُقارن أفرام وكبريانوس أيضًا وحدة الكنيسة بالثّوب غير المخيّط الّذي لا يتجزّأ[١٠٢]. «الثّوب هو رَمْز الإيمان السّليم الّذي نَقَله الرّسل: هذا الثّوب حَمَلَ معه وحدة تنزل من القمّة [...] فكلّ من يُقسّم كنيسة المسيح ويُفرّقها لا يُمكنه أن يلبس ثوب المسيح»[١٠٣].

حاضرة الفاتيكان ١٩ تشرين الثّاني ٢٠٢٢، الكاردينال كورت كوخ عميد دائرة تعزيز وحدة الكنائس، مار ميليس زايا متروبوليت أوستراليا ونيوزلندا ولبنان.

---

١٠١ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Nisibis,* XXIX, 4, 40, 41: CSCO 218, Syr. 92, p. 65, 69.

١٠٢ أُنْظُرْ:

Ephrem, *Hymns on Crucifixion* V, 6: CSCO 248, Syr. 108, p. 61.

١٠٣ أُنْظُرْ:

Cyprian, *De unitate Ecclesiæ*, § 7.